

GILLETTE & L'ORÉAL, WOMEN USA

VOL. II

Florida • Georgia • Hawaii • Idaho • Illinois • Indiana • Iowa • Kansas



GILLETTE & L'ORÉAL, WOMEN USA — VOL. II

L'ORÉAL THROUGH GILLETTE · 04

فلوريدا، جورجيا، هاواي، أيداهو، إلينوي، إنديانا، آيوا، كانساس. المرحلة الثانية من العبور الأمريكي؛ الاستهلال القطبي المشترك محفوظ هنا كاملاً، ومطويّ لمن يقرأ السلسلة بالتتابع.

الفصل صفر — افتتاحية مشتركة

هذا الفصل الافتتاحي مشترك بين المجلدات الستة لنساء الولايات المتحدة. ينشر هنا كاملاً، ومطويًا كي تُقرأ السلسلة بالتتابع من دون تكرار.

الفصل صفر

هنا ليس العالم أرضًا: إنه حدّ. القطب الشمالي لا يرحّب، ولا يغفر، ولا يترك مجالًا للخطأ. البياض يحكم ككيان مطلق، صامت وبلا ذاكرة. درجة الحرارة ليست معطًى جويًّا: إنها مفترس. الليل يدوم شهوًّا، يسحق الأفكار، ويشوّه ملامح الناس، ويبتلع إرادتهم.

المجتمعات قليلة، صغيرة، ومنغلقة. الإنويت، واليويك، وشعوب القطب يعيشون حيث لا يختار أحد أن يبقى. هنا كل فرد ضروري لبقاء الجماعة. إن لم تكن نافعًا، صرت عبثًا. ومن يصير عبثًا يختفي في الصمت، في الثلج، في منطق بيئة لا تقدّم أي تنازل.

وتضيف القواعد العلمية نوعًا آخر من البرد: برد التراتيبات. هنا المرأة حضور نادر، شذوذ عليه أن يتكيّف أو يستسلم.

في هذا المكان لا وجود لمفهوم «الاختفاء». لا يوجد إلا البياض الذي يمحو كل شيء.

نساء الإنويت واليويك

الفتاة القطبية لا تُدَلّ: إنها تُعَدّ. تتعلّم باكراً أن تقاوم البرد والظلام والجوع. عليها أن تصبح نافعة للعشيرة، لأن الهوية هنا ليست شخصية. إنها وظيفية. المرأة تحمل عبء العائلة والجماعة: الطعام، والنار، والأطفال، والجلود، والرعاية. لا أحد يتحدّث عن الحقوق. لا أحد يتحدّث عن الهشاشة. الاكتئاب موجود، لكن لا اسم له. العنف موجود، لكن لا شهود عليه.

امرأة القواعد العلمية

متعلّمة، كفؤة، معتادة على الانضباط. تصل باحثة، وتقنية، وطبيبة. وسرعان ما تكتشف أن القطب الشمالي لا يعترف بالشهادات. هنا لا تُحتسب إلا الصلابة الذهنية. التراتيبات الذكورية تهيمن عليها، وأي علامة ضعف تُفسّر ضعفاً. إنها بيئة لا تكفي فيها القوة: المطلوب ضبط للنفس إلى أقصى حد.

المرأة الغربية «الوافدة من الخارج»

نشأت في الحرية، وتصل وهي تظن أنها قادرة على قهر البرد. لكن المكان يكسرها: الوحدة، والمساحات الضيقة، والصمت الذي لا ينتهي. القواعد ليست مجتمعات، إنها آليات. والمرأة، داخل آلية صمّمها رجال، عليها أن تقاتل كي لا تختفي.

الرحلة إلى حافة العالم

جاري أنطونيو، المعروف بنينو، كان يتحدّث منذ سنوات عن نوردكاب، عن شمس منتصف الليل، عن شهور بلا ظلام. كان حلمًا يحمله في جيبه، كشيء مستحيل. في صباح من أيام مايو، قرعتُ جرس بابهِ وقلت له هذا فقط: «جَهّز حقيبَتك. سأعود بعد ساعة. سنرجع بعد 30 يومًا.» نظر إليّ مندهشًا، سعيدًا. سألت زوجته، قلقًا، عن خططنا. «نطارِد حلمًا»، أجبتُ.

ركبنا السيارة. زوجتانا نظرتا إلينا كأننا مجنونان. لكن هذه الرحلة كانت حقيقية. كان نينو ممتلئًا بالأسئلة منذ البداية. «إلى أين نذهب؟ كم من المال عليّ أن آخذ؟» «أهدأ»، قلت له. «سنصل بعد 54 ساعة. 5,000 كم فقط. نحن في Range Rover الجديدة. استمتع بالطريق.»

كل 300 كم كان عليّ أن أتوقّف: هو، الأكبر مني باثني عشر عامًا، كان له إيقاعه. أنا كان معي الماء والسوائل؛ وهو كان له القهوة وحاجاته الجسدية. وكلما ابتعدنا، ازداد حديثه عن حياته. أشياء ما كنت لأعرفها أبدًا لولا ذلك الطريق الذي لا ينتهي.

رجلان وحدهما في سيارة يتحدّثان دائمًا عن النساء. هو لم يعرف إلا زوجته. ضحكْتُ. طمأنته: «نحن هكذا أيضًا.»

سألني كيف أحافظ على عقلي وأنا أقود 60 ساعة. حكيتُ له عن روسيا، حين قدْتُ في الثانية والعشرين 51 ساعة لألقى امرأة لم أكن قد رأيتها قط. «المسافات ليست حدودًا»، قلت له، «إنها أعدار. وأنا لم يكن لديّ أيُّ منها قط.»

الوصول إلى البياض

دخلنا النرويج. تُرّل على الطريق. سنترك السيارة هناك ونكمل بالزلّاجة. كانت المرشدة مغطّاة، لا يُتفَقذ إليها. حين خلعت نظّارتها، اكتشفتُ أنها امرأة. امرأة نرويجية، صامتة، مباشرة، جليدية. نينو في وسط الزلّاجة، وهي في المقدّمة، وأنا بقامتي البالغة 190 سم في الخلف، أختم الركب. كان النهار ما يزال قائمًا. ساعتني تشير إلى الوقت، لكنها لا تقول لي إن كان ليلاً أم صباحًا. كانت شمس منتصف الليل. لقد بلغنا نوردكاب. بكى نينو. عانقني. قلت له ضاحكًا: «انتبه... قد يظن الناس أننا مثليّان.» ضحكنا، لكننا كنا على حافة العالم.

ثم جاء الصقيع: -52°C.

الدخول إلى القطب الشمالي الحقيقي

أخذونا إلى حاوية معدنية لنبدّل ثيابنا. برّات ثقيلة جدًّا، محشّوة، تُغلق بسحابات معقّدة.

دفعْتُ أجرة المرشدة. تُرك نينو في إيغلو مع بعض الرجال؛ وتُركْتُ أنا في آخر مع عائلة: رجل مسنّ، بين السبعين والثمانين، وثلاث نساء بين الثلاثين والخمسين.

كان عالمًا مغلقًا. بسيطًا. قاسيًا.

الرجل يقف جانبًا. النساء يحفظن الإيقاع. وكان الحمام تلة على بعد خمسة أمتار من الإيغلو: البراز يتجمد قبل أن يبلغ الأرض. بولي الأول صار نجمة قطبية صفراء. كان ذلك الشمال يحيني.

المرأة متوسطة العمر، ماغي، كانت تتكلم قليلاً من الإنجليزية. والباقي إشارات، وعيون، وأيدي. لغة البرد.

حين لم أكن متأكدًا من طريقة استعمال البرّة، لمست، من دون تفكير، ما بين فخذي لتريني سخابًا مخفيًا. لم يكن فيه خبث، ولا حرج: مجرد وظيفة. بقاء.

الأيام الثلاثة في الإيغلو

جليوا الطعام. سمك مدخن، سمك نيء، كبد القدّ، بطن الحوت. وكرات من لحم القرش. لم يكن هناك خيار. لم يكن هناك بديل. كان ما تمنحه الطبيعة.

ثم شربت: سائلًا أحمر. ظننته نبيذًا. كان دم حوت مصفى، مغليًا، محلى. شربته. أعطاني قوة لم أشعر بمثلها من قبل. طاقة بدائية. ظننتها كوكابين. لا. كان الشمال يدخل الجسد.

النساء يراقبنني. العجوز خرج يصطاد. وأنا أستريح وأشرب الدم. ثلاثة أيام بلا هاتف، ولا إنترنت، ولا حاسوب، ولا نينو. أنا وهنّ فقط.

لم يكن هناك ليل. لا شيء سوى الضوء، والنار، والجليد، والأنفاس.

استلقت النساء الثلاث للنوم. بحثت عن مكان. رفعت الصغرى ذراعها وأشارت إليّ أن أقرب. انفجرن ضاحكات. لم أفهم. قلن إنني «عيد الميلاد» الخاص بهنّ.

طريقة للقول إنني قد قبلت.

حاولت أن أعطيهنّ بعض المال شكرًا. رفضن. أردن عناقا فقط. وبضع كلمات بالكالابرية ليشعرن بقرب أكبر.

هناك فهمت قيمة الهدايا الحقيقية: تلك التي لا تُشتري ولا تُباع.

وداع المرشدة

بعد ثلاثة أيام، وصلت المرشدة. تحدّثت مع النساء الثلاث ساعة كاملة. كنتُ في الخارج. لم أفهم ما كنّ يقلن. لم يكن ذلك شأني. كانت لغتهنّ، وعالمهنّ، وشريعتهنّ.

في الحاوية، بينما كنتُ أخلع ثيابي، دخلت المرشدة. فضولية. مباشرة. شمالية. عانقتني بقوة. قبلتني. كانت بشرتها بيضاء كالليب. وعيناها زرقاوين كسماء أغسطس.

طلبت مني أن أخذها معي. كانت ستفعل أي شيء لتخرج من ذلك العالم. ابتسمتُ باحترام. لم أستطع. وما كان ينبغي لي.

تركتُ لها وعدًا واحدًا فقط: «إن احتجتِ إلى أي شيء، اكتبي لي رسالة. سأساعدك.» رفضت حتى المال. كانت امرأة جميلة، لكنها وحيدة. وحدة لا تُرى من بعيد. وحدة لا يغفرها البرد.

العودة إلى البيت

ذهبنا لنأخذ نينو. كان في غاية الحماس. لم يكن يريد العودة. لكن كان عندي موعد مع زوجته.

حكى للجميع عن أيامه الثلاثة. أنا صمتُ. لم أشارك الرجل شيئًا قط. وحده الورق.

وهكذا، بينما كان نينو يعود إلى عالمه، كنتُ أنا قد صرتُ في طريقي إلى عالم آخر. وجهة أخرى. لقاء آخر.

أهلاً بكم.

خاتمة

الشمال لا يأخذك: إنه يغيّرك. ولا يعيدك

كاملاً أبداً. يأتي الرجال إلى القطب الشمالي بحثاً عن الضوء، والصمت، والصور، والأحلام. والنساء يبقين ليعشن.

الرجال يروون ما رأوه. والنساء يكتمن ما عشنه.

الرجال يعودون. والنساء يبقين. يبقين في البرد، في بيوت الثلج، في صمت لا يسمعه أحد. يبقين ليسندن جماعات لا تحتفي بهنّ. يبقين ليحمين الأطفال، والمستنّين، والغرباء. يبقين غير مرئيات.

لم آخذ من هناك إلا ذكرى واحدة: امرأة جميلة، جميلة إلى حدّ لا يُصدّق، لكنها وحيدة. لا بالمعنى الرومانسي. بالمعنى الإنساني. بالمعنى المأساوي.

تأمل

الشمال لا يقتل الجسد. إنه يقتل الحضور. وما يبقى هو البياض: مكان تعيش فيه النساء ويختفين في آن.

لهذا أكتب. لأن الأماكن القصوى لا تروي قصتها بنفسها. ومن يعبرها لا يملك ترف البقاء صامتًا.

لست أنا. لست أنا. أرضي أنجبتني، وبقية العالم تستقبلني لا ضيقًا، بل واحدًا من العائلة.

من البياض المطلق للشمال، نزلتُ إلى الفوضى المطلقة للولايات المتحدة.

الولايات المتحدة الأمريكية

المهمة المستحيلة

أن تعمل ثمانية عشر عامًا لدى شركة أمريكية يمنحك شيئًا لا تستطيع أي شركة أخرى في العالم أن تمنحه: ثقافة عمل، وإجراءات، ورسالة واضحة، ومنظومة قيم ليست نظرية، بل ممارسة يومية. لا يشرحونها لك؛ بل بينونها فيك. ويفعلون ذلك من دون أن يستأذنونك.

كنت في مكتب نيويورك حين عُرض عليّ عمل لم أتخيّله قط. لا ترقية. ولا نقل. بل تجربة.

برنامج سرّي، أنشئ للتحقق من نموذج للعلاقات الإنسانية داخل الولايات المتحدة. لم يختاروا مديرين، ولا علماء نفس، ولا مدربين. اختاروا أشخاصًا لديهم نوع معيّن من التجربة في العالم الحقيقي. وظهر اسمي، مع أنني

قضيت ثمانية عشر عامًا في المبيعات. لم يكونوا ينظرون إلى المنصب: كانوا ينظرون إلى العقل.

كان الاختبار بسيطًا في شرحه وصعبًا للغاية في إنجازه:

زيارة الولايات الأمريكية الخمسين في سنة واحدة، أختار المدن بنفسني وأبقى أسبوعًا على الأقل في كل منها.

الأسبوعان الأخيران سيكونان إجازة إجبارية. سيتكفلون بكل المصاريف. وما عليّ إلا أن أعيش، وأراقب، وأفهم، وأسلم تقريرًا كل يوم اثنين. حسابًا إنسانيًا، جافًا، دقيقًا.

وقعتُ العقد. أبلغتُ البيت. لم يسألوا شيئًا. أرادوا فقط أن يعرفوا إن كانت المؤونة الشهرية قد وصلت. كنتُ على وشك أن أواجه سنة في أمريكا. وهم، كالعادة، كانوا يواجهون الشهر التالي.

ومن باب الحيلة، كان راتبي يُودع مباشرة في حسابي المصرفي في إيطاليا. كانت طريقة مهذبة لتقول لي: «لا تفعل حماقات. عش بما لديك. لنر من أنت حقًا.»

بعد خمسة عشر عامًا فقط تمكنتُ من الاطلاع على تقاريري الأصلية، والتحليلات، والمواد التي جمعوها عني. من هناك وُلد هذا الكتاب. حصلتُ على الموافقة على نشره، بشرط واحد: ألا أذكر أبدًا اسم الشركة التي طلبته.

لا يهم. هذه القصة ليست عن الشعارات. إنها عن رجل في بلد يستحيل فهمه إلا إذا عشته بنفسك.

هل أبدأ من أبعد نقطة؟

كان الخيار المنطقي أن أبدأ من الأطراف، لا من المركز. لسببين بسيطين:

1. كنتُ خارجًا للتو من التجربة: صفاء عالٍ، وانتباه في أقصاه.
 2. بالبداية من الطرف الأقصى أستطيع تصحيح المسار وإنهاء الرحلة بنظافة.
- لم أكن بحاجة إلى البدء من بوسطن أو شيكاغو. كان عليّ أن أبدأ من حدّ من مكان ليس أمريكا إلا على الورق.

اخترتُ جونو، عاصمةً ألاسكا. معزولة. لا يُوصَل إليها إلا بالقارب أو الطائرة. مدينة لا تنتمي إلى أحد. المكان المثالي للبداية.

حسن إدارة الموارد

قبل الرحيل، فعلتُ ما يحترمه الأمريكي قبل كل شيء: نظّمتُ نفسي كمحترف، لا كسائح.

اتصلتُ بثلاث من أشهر شركات الطيران، تلك التي تملك أوسع الشبكات الداخلية. وفي أقل من ساعة، اشتريتُ دفترًا من خمسين رحلة داخلية بخصم 60%.

بلا حدود زمنية. بلا حدود للأيام. بلا قيود. شرط واحد فقط: استعمالها خلال سنة.

فعلتُ الشيء نفسه مع سلاسل الفنادق، وسيارات Uber، وشركات تأجير السيارات، ثم أعددتُ جدولًا محكمًا للمراحل، والوسائل، لا للأوقات.

كنتُ جاهزًا.

كان أول نجاح حقيقي لي. العلامة الأولى على أنني أعرف كيف أتحرك. أمريكا تكافئ من يفعل، لا من ينتظر.

حين رأت الشركة المعاملة، فعلت ما تفعله الثقافة الأمريكية دائمًا: تحقّقت من الموثوقية.

هل كنتُ قادرًا على إدارة سنة من التنقّل الدائم؟ هل كنتُ قادرًا على مواجهة الطوارئ، والمسافات، والحالات العاجلة؟ هل كنتُ مستقلًا؟

لهذا، قبل الرحيل، ضبطتُ تفصيلًا حاسمًا آخر:

تأكّدتُ من أن لديّ سقفًا شهريًا لا يقل عن 100,000 دولار على بطاقتي الائتمانية.

لم يكن للإنفاق. كان لإثبات أننا قادرون على إدارتها. هكذا يفكر الأمريكيون: إن لم تكن لديك استقلالية، فلا حرية لك. وإن لم تكن لك حرية، فلا يمكن تقييمك.

منذ تلك اللحظة، لم يعد البرنامج تكليفاً. صار رسالة.

والآن نسافر حقاً

ألاسكا جزء من الولايات المتحدة بالجغرافيا فقط. إنها عالم آخر. إنها المكان الذي تختفي فيه النساء بلا أثر. حيث لا تصل الشكوى إلى وجهتها أبداً. حيث المدن ليست إلا جزراً متحصرة وسط قارة متوحشة. كانت جونو اختباري الأول: عاصمة لا تربطها أي طريق ببقية البلاد. قطعة من أمريكا لا تشبه أمريكا. هنا بدأت أفهم شيئاً: الرحلة لن تكون جغرافية. ستكون إنسانية.

المجموعة 1 (المجلد الأول)

ألاباما - ألاسكا - أريزونا - أركنساس - كاليفورنيا - كولورادو - كونيتيكت - ديلاوير - فلوريدا - جورجيا

المجموعة 2 (المجلد الثاني)

هاواي - أيداهو - إلينوي - إنديانا - آيوا - كانساس - كنتاكي - لويزيانا - مين - ماريلاند

المجموعة 3 (المجلد الثالث)

ماساتشوستس - ميشيغان - مينيسوتا - ميسيسيبي - ميزوري - مونتانا - نبراسكا - نيفادا - نيوهامبشير - نيوجيرسي - نيومكسيكو

المجموعة 4 (المجلد الرابع)

نيويورك - واشنطن

المجموعة 5 (المجلد الخامس)

كارولينا الشمالية - داكوتا الشمالية - أوهايو - أوكلاهوما - أوريغون - بنسلفانيا - رود آيلاند - كارولينا الجنوبية

المجموعة 6 (المجلد السادس)

داكوتا الجنوبية - تينيسي - تكساس - يوتا - فيرمونت - فيرجينيا - فيرجينيا الغربية - ويسكونسن - وايومنغ

فلوريدا

فلوريدا مفارقة حيّة.

إنها الولاية التي يراها العالم وجهة للعطلات: شواطئ، وشمس، ومدن ملائمة، ونخيل، وكوكيتيلات، وبحار دافئة، وميامي، وأورلاندو، وتامبا. ألوان في كل مكان. مظهر دائم للسعادة.

لكن من يعيش هناك يعرف أن فلوريدا هي أيضًا: - فقر مزمن - إيجارات لا تُحتمل - لا مساواة عميقة - سياحة مفترسة - عواصف دورية - عمل موسمي - جماعات هشة - عنف أسري مرتفع إلى أقصى حد - مستنّون متروكون على الهامش.

إنها ولاية بوجهين: البطاقة البريدية للسائح، والواقع للنساء اللواتي يُبقينها واقفة. في فلوريدا لا يُتحدّث كثيرًا عن غياب النساء. إنه يختبئ تحت الرمل، والبحر، والابتسامات الإجبارية. لكنه هناك، واضح، كل يوم.

المرأة المنتجة تختفي بفعل الحمل الاجتماعي الزائد، والهشاشة الأبدية، والخدمات القاصرة، والأدوار الخفية التي تُدير الاقتصاد من دون أي اعتراف. إنه اختفاء عملي، لا رمزي.

مقدّمة رعاية المسنّين - 52 عامًا

فلوريدا دار المتقاعدين لأمريكا. يعيش هنا ملايين المسنّين، كثيرون منهم بلا عائلات، وآخرون بمشكلات صحية خطيرة.

ليست المؤسسات هي التي تسندهم: إنهنّ النساء.

هي مقدّمة رعاية، ومساعدة صحية، وعاملة في دار للمسنّين. تعمل غالبًا في ظروف صعبة: نوبات طويلة، وأجور زهيدة، ومرضى معقّدون، ومؤسسات خاصة تقترّ في كل شيء، ومسؤوليات هائلة.

عليها أن ترفع الأجساد، وتعطي الأدوية، وتنظف، وتغسل، وتصغي، وتهدي، وتحتمل.

لا وقت لديها لنفسها. لا مال لديها لتدخره. حياتها تدور حول هشاشة الآخرين.

غيابها جسدي: لا يوجد يوم واحد هو لها حقًا.

إن غابت، لن يحلّ أحد محلّها. النظام لا يستطيع أن يصمد من دونها، لكنه يتظاهر بأنه يستطيع.

نادلة المنطقة السياحية – 26 عامًا

فلوريدا تعيش على السياحة. والسياحة تعيش على النساء.

تعمل في المطاعم، والفنادق، والحانات، والمنتجعات، ومدن الملاهي، والكازينوهات، ونوادي الشاطئ. لا دوام لها: لها نوبات. لا استقرار لها: لها مواسم. لا مسيرة مهنية لها: إنها تبقى على قيد الحياة فحسب.

حياتها هي: - ابتسامات إجبارية - طلبات لا تنقطع - بقشيش يقرّر مصير الشهر - زبائن متعجرفون - مديرون يستبدلونهم في دقيقة - عمل عاطفي دائم.

في الليل تنهض متأخرة، متعبة. وفي الصباح التالي، تبدأ من جديد.

غيابها أخلاقي: بالنسبة إلى السيّاح هي غير موجودة. إنها خدمة، لا إنسانة.

ترى البحر كل يوم، لكنه ليس لها.

المرأة المهاجرة من المناطق الداخلية – 31

عامّا

بعيدًا عن الشواطئ والمدن الحديثة تقع فلوريدا الحقيقية: حقول، وبيوت زجاجية، وبلدات صغيرة فقيرة، وعمل يدوي.

المرأة المهاجرة - وغالبًا من أمريكا اللاتينية أو من هايتي - تحمل كل ما لا تريد الولاية أن تُظهره - تنظيف البيوت - الزراعة - تعبئة الأغذية - خدمات

بأجور زهيدة - رعاية أطفال غير رسمية - نوبات ليلية في الموتيلات. يخفن من السلطات، ويعشن على القليل، ويرسلن المال إلى أهلهنّ. كثيرات منهجنّ وحيدات، وأخريات مع أطفال صغار عليهنّ تربيتهن في أحياء قاسية.

غيابها اقتصادي ولغوي معًا: لا تتكلم الإنجليزية جيدًا، ولا تعرف كيف تطلب المساعدة، وليست لها حقوق حقيقية. النظام يستعملها. وحين لا يعود بحاجة إليها، يُسقطها.

إنها المرأة التي تُبقي فلوريدا نظيفة من دون أن تعترف فلوريدا بوجودها.

المرأة التي تعيش مع العاصفة - 37

عامًا

تعيش فلوريدا تحت التهديد الدائم للأعاصير. كل موسم يحمل القلق: الاستعداد، والإغلاق، والانتظار، والأمل.

حين تضرب العاصفة، من يحمي البيت، والأطفال، والوثائق، والقليل الذي نملكه؟ هي دائمًا.

كثير من النساء يعشن في: - بيوت متنقلة - شقق قديمة - مناطق ساحلية خطيرة - أحياء مهمشة.

كل إعصار يعني: الإخلاء، وخسارة العمل، وكشط الماء عن الأرض، وإنقاذ القليل الذي يبقى.

وغالبًا ما يعني ذلك فعله وحدها.

غيابها بيئي: الولاية تعد بالحماية، لكنهنّ من يُضربن أشدّ الضرب، مجبرات على الانهيار والبدء من الصفر. ومع كل عاصفة يخسرن شيئًا لا يستطيع أحد أن يعوّضه: القوة، والوقت، والتوازن النفسي.

خاتمة - فلوريدا

تعيش فلوريدا في تناقض دائم: ضوء مطلق وظلام مطلق. سياحة دولية وهشاشة محلية. ثروة ظاهرة وفقير بنيوي.

النساء هنا لا يختفين بين ليلة وضحاها. إنهنّ يذبلن ببطء، بين النوبات، والحرّ، والأعاصير، والزبائن، والمستئين، والأطفال، والأعمال غير المضمونة، وتكلفة المعيشة الباهظة.

غياب النساء في فلوريدا ليس حدثًا. إنه مسار.

طرح متواصل للطاقة، والوقت، والكرامة، والاعتراف.

النظام يبقى حيًّا بفضلهنّ، لكنه يتصرّف كأنهنّ غير موجودات.

نأمل - فلوريدا

تعلّم فلوريدا شيئًا بسيطًا واحدًا: الغياب الأنثوي يمكن أن يكون ملوّثًا.

لا يحتاج محو امرأة إلى برد ألاسكا، ولا إلى تاريخ ألاباما، ولا إلى قسوة أريزونا.

أحيانًا يكفي: - سائح لا يرى - مسنّ يعتمد عليها - صاحب عمل يستغلّ - إحصار يأخذ كل شيء - راتب لا يكفي أبدًا - إيجار مستحيل - ثقافة لا تعترف بالعمل الخفيّ. فلوريدا هي المكان الذي تعمل فيه النساء تحت الشمس لكنهنّ يعشن في الظل.

ولهذا هي في هذا المجلد. لأنها تُظهر الحقيقة: حتى أسعد مكان في العالم يمكن أن يكون الأقصى على من يُبقونه واقفًا.

جورجيا

جورجيا ولاية مزدوجة: حديثة على السطح، قديمة في القلب.

أتلانتا تتحرّك بسرعة: تكنولوجيا، ومطارات، وموسيقى، وجامعات، وأعمال للسود، وسياسة وطنية. أما بقية الولاية فتبقى راكدة: ريف، وصناعات غذائية، ودين، ومحافظة، وفقير مستقرّ.

إنها منطقة صنعت تاريخ الحقوق المدنية، لكنها تركت كثيرًا من نسائها خلفها.

جورجيا لا تمحو النساء بعنف ظاهر. إنها تمحوهنّ بثقل التقاليد، وبفقر لا يتزحزح، وبمسؤوليات عائلية لا يتقاسمها أحد، وبعمل شاقّ بأجر زهيد يبدو

طبيعياً.

هنا النساء هنّ العمود، والمحزّك، والمركز. ولهذا السبب بالذات، يُعتَبَرْنَ أُمَرًا مسلّمًا به، أُمَرًا مفروغًا منه، يُستعملن، ويُثقلن، ويُتجاهلن في القرارات. جورجيا ولاية تعيش على أكتاف النساء وتتصرّف كأن ذلك العبء أمر طبيعي.

أمرأة الصناعات الغذائية – 30 عامًا

جورجيا إحدى عواصم صناعة الدجاج واللحوم في أمريكا. مصانع ضخمة، وخطوط إنتاج لا تنتهي، ونوبات قاسية، وبيئات باردة، وضجيج دائم. المرأة التي تعمل هنا تواجه: - تكرارًا مُنهكًا - جروحًا، وسحقًا، وآلامًا مزمنة - رقابة دائمة - ضغط أوقات الإنتاج - عقودًا هشة - أجورًا لا ترتفع أبدًا. الصناعة الغذائية لا تتوقّف أبدًا: لا من أجل مرض، ولا من أجل حمل، ولا من أجل مشكلات عائلية.

إن غابت، سيحلّ أحد محلّها خلال نصف ساعة. لا أحد يسأل لماذا. لا أحد ينظر إلى ما تحمله على كتفيها.

غيابها صناعي: مختزلة إلى قطعة من الآلة. رقم عليه أن يعمل. لا حياة يجب أن تُفهم.

أمرأة المجتمعات السوداء – 48 عامًا

في جورجيا السوداء، المرأة هي كل شيء: أمّ، وعاملة، ومرشدة، وسند روحي، وذاكرة تاريخية.

هي التي تعيل العائلة الممتدة، وتعمل داخل البيت وخارجه، وتعيّل الأبناء وغالبًا الأحفاد أيضًا، وتُمسك جماعات بأكملها حين يختفي الرجال بسبب الأعمال الهشة، أو المرض، أو السجن، أو الاكتئاب.

تؤدّي دورًا هائلًا لم يُعترف به قط.

في أتلانتا تعمل في: - المدارس - الرعاية الصحية - المكاتب - الخدمات العامة - النقل - المساعدة. وفي الجنوب الريفي، أكثر من ذلك: - الزراعة -

المتاجر- الكنائس- رعاية المسنين- السند غير الرسمي للعائلات المحطّمة غيابها اجتماعي: الجميع يستعملها، والجميع يطالبها، لكن لا أحد يضعها في مركز القرار.

إنها المرأة التي تسند شعبًا بأكمله من دون أن يُسمح لها يومًا بالانهيار.

المرأة التي تعيش بين الإيمان والسيطرة -

44 عامًا

جورجيا من أكثر الولايات تديّنًا في أمريكا. الكنيسة هنا ليست روحانية: إنها تنظيم اجتماعي.

بالنسبة إلى كثير من النساء، الإيمان هو متنقّسهنّ الوحيد. لكن كثيرات منهنّ محبوسات في البنية نفسها.

أدوار صارمة: - زوجة مخلصّة- أمّ حاضرة- امرأة محترمة- عضو فاعل في الجماعة

قواعد صارمة: - لا تُظهري الضعف - لا «تلطّخي» العائلة - لا تعارضي الرجل أمام الناس - لا تحيدي عن الأدوار التقليدية.

بالنسبة إلى كثير من النساء، الدين ملجأ. وبالنسبة إلى أخريات، هو سيطرة.

غيابها ثقافي: لا تستطيع أن تعبّر حقًا عمّن هي، لأن الجماعة تمنحها صورة محدّدة سلفًا. تبتسم عن واجب، لا عن اختيار.

المرأة الخفيّة في الأطراف - 32 عامًا

خارج أتلانتا، يتباطأ الزمن. مدن صغيرة، وخدمات في حدّها الأدنى، ومدارس فقيرة، ووسائل نقل تكاد تكون معدومة.

النساء هنا يعيشن حياة مليئة بمشكلات صغيرة بلا حلول: - أجور منخفضة - إيجارات ترتفع - مدارس قاصرة - رعاية طبية بعيدة - إدمانات منتشرة - غياب الفرص - عمل بدني أو متكرّر.

يعملن في المتاجر الكبرى، ومطاعم الوجبات السريعة، والمستودعات، وأعمال التنظيف، والمحالّ المحلية. كل شهر معركة مالية. كل سنة تبدو مثل سابقتها.

غيابها جغرافي: تعيش في مكان لا يتغيّر ولا يدعها تتغيّر.

إنها محبوسة لا خلف باب مغلق، بل داخل جغرافيا كاملة جامدة.

خاتمة - جورجيا

جورجيا ولاية تطالبك بأن تعرف أين تنظر. إن نظرت إلى أثلاثنا، ظننت أنك ترى الحداثة. وإن نظرت إلى الجنوب الريفى، رأيت تاريخًا قديمًا. وإن نظرت إلى الصناعات، رأيت الجزء الأقسى من الاقتصاد. وإن نظرت إلى الجماعات، رأيت المشقّة متنكّرة في هيئة الحياة العادية.

النساء هنا لا يختفين فجأة. إنهنّ يستنزفن أنفسهنّ ببطء تحت: - تقاليد صارمة - عمل شاقّ - أدوار مفروضة - فقر ناعم - مسؤوليات هائلة - جماعات تطلب كثيرًا وتعطي قليلًا.

غياب النساء في جورجيا ليس فراغًا. إنه عبء.

عبء تحمله النساء من دون أن يشكين أبدًا، لأن أحدًا من حولهنّ لم يعوّدهنّ على أن يُصغى إليهنّ.

نأمل - جورجيا

توضّح جورجيا حقيقة قاسية: هناك ولايات لا تُمحي فيها النساء بالصدمة، بل بالعادة.

من الطبيعي أن تصمد. من الطبيعي أن تفعل أكثر. من الطبيعي أن تكون في كل مكان. من الطبيعي ألا تنهار. من الطبيعي أن تبتسم حتى حين تكون متعبة.

وحين يصبح شيء ما «طبيعيًا»، يكفّ عن أن يُرى.

تعلّم جورجيا أن الغياب يمكن أن تبنيه التقاليد نفسها: لا حاجة إلى عنف صريح، يكفي دور اجتماعي مفروض منذ عقود.

النساء هنا لا يطلبن الظهور. يطلبن فقط ألا يستهلكهنّ النظام الذي يسندنه.

وهذا يكفي لوضعها في قلب هذا المجلد.

هاواي

هاواي أكثر الخدع أناقةً في الولايات المتحدة.

في نظر العالم، هي الجنة: شواطئ، ومياه فيروزية، وركوب الأمواج، ومناخ مثالي، وبطاقات بريدية، وسياحة الكتالوجات. ألوان في كل مكان، وهدوء ظاهر، وطبيعة مذهلة.

لكن هاواي الحقيقية مختلفة تمامًا: - تكلفة معيشة باهظة إلى أقصى حد - أجور منخفضة - ملكية أراضٍ مركّزة - سياحة تلتهم الموارد - جماعات محلية مهمّشة - هوية ممحّوة أو مبيّعة - فقر مختبئ خلف مناظر مثالية.

النساء هنا لا يختفين بسبب عنف ظاهر. يختفين لأنهنّ يعشن في أرض تبيع للعالم صورة وتخفي أخرى عمّن يعيشون فيها.

غياهنّ مزدوج: - خفّيات في أرقام السياحة - خفّيات في السردية الثقافية الأمريكية.

هاواي لا تمحو النساء بضربة واحدة. إنها تمحوهنّ بالبطء. بالاقتصاد. بسياحة لا تترك مكانًا. بهويات مسروقة.

سيدة الضيافة - 34 عامًا

تعيش هاواي على السياحة. موظفات الاستقبال، النادلّات، عاملات التنظيف، خدمة الغرف، المنتجعات الصحية، والأنشطة السياحية. النساء هنا هنّ قلب هذا النظام.

تعمل في بيئات تبدو مثالية، لكنها في الواقع: - إيقاع مرتفع - أجور منخفضة - مطالب لا تنقطع - ساعات مستحيلة - مديرون يفرضون الابتسامة إلزامًا - زبائن كثيرًا ما يعاملونها كأنها «جزء من الباقة».

تعيش مع مشكلتين دائمتين:

1. إيجارات لا تُحتمل (كثيرات يتقاسمن البيت مع 3-4 أشخاص)

2. تكلفة معيشة خارجة عن كل حدّ (كل شيء يكلف ضعف

ما يكلفه في البرّ الرئيسي)

الجنة الطبيعية تحيط بها من كل جانب، لكن حياتها سباق يومي مع النفقات. غيابها اقتصادي: تعمل في جنة لا تقدر على تحمّل تكلفتها.

امرأة هاواي الأصلية – 29 عامًا

المرأة الأصلية هي قلب هاواي وأكثر شخصياتها حرمانًا.

القصة واضحة: الاستعمار، فقدان الأرض، الفرض الثقافي، السياحة الغازية. حياتها توازن بين التقاليد والأسرة والعمل والمقاومة الثقافية.

كثيرًا ما تعمل في قطاعات أساسية: – المدارس – الرعاية الصحية – المساعدة المجتمعية – البرامج الاجتماعية – الزراعة التقليدية – المبادرات الثقافية.

تؤدّي دورًا هامًا ومع ذلك لا يعترف به أحد. ثقافتها تُباع للعالم على أنها فولكلور: رقصات وموسيقى ورموز تحوّلت إلى تسلية للسياح.

غيابها ثقافي: هويتها تُعرض لكنها لا تُحترم.

هي حاضرة في كل مكان كصورة، وغائبة في كل مكان كصوت.

المرأة التي تعيل أجيالًا متعددة

من الأسر – 46 عامًا في هاواي أسر كثيرة متعددة الأجيال: لا بحكم التقاليد، بل بحكم الضرورة الاقتصادية.

ثلاثة أجيال في البيت نفسه، وكثيرًا ما يكون صغيرًا: أجداد، آباء، أبناء، إخوة.

المرأة هنا هي العمود الفقري للبنان: – تعمل – تطبخ – تعتني بالأطفال – ترعى المسنين – تكون جسرًا بين لغات مختلفة – تمسك الحسابات – تواجه المشاكل بلا عون.

وقت فراغها قليل إلى حدّ استثنائي. مساحة شخصية تكاد تكون معدومة.
عبء عاطفي هائل.

غيابها منزلي: الجميع يعتمد عليها، لكن لا أحد يراها على حقيقتها.
الأسرة قوّتها وقفصها.

المرأة تعيش بين العزلة والطبيعة – 32

عاقا

خارج هونولولو والمنتجعات أرخبيل متنوّع: جزر نائية، قرى صغيرة،
مجتمعات معزولة.

العمل هنا: – الزراعة – الصيد – الصيانة – الخدمات الصغيرة – المدارس
الأساسية – الرعاية المجتمعية.

تعيش المرأة حياة تبدو بسيطة إذا نُظر إليها من أمريكا البرّ الرئيسي. لكنها
قاسية: مواصلات محدودة، خدمات صحية بعيدة، فرص تكاد تكون صفراً،
إدمان منتشر، أسعار في السماء، وعزلة نفسية صارت أمرًا عاديًا.

غيابها جغرافي: تعيش خارج خرائط السلطة والمخيّلة الوطنية.

الطبيعة جمال ووحدة.

خاتمة – هاواي

هاواي مكان كل شيء فيه مزدوج: الجمال والكّد، الثراء والفقر، الصورة
والواقع، السياحة، والاقتلاع.

النساء هنا لا تمحوهنّ المأساة، بل يمحوهنّ الاقتصاد. يمحوهنّ التاريخ.
تمحوهنّ السياحة الغازية. تمحوهنّ تكلفة المعيشة الساحقة. تمحوهنّ
السردية المثالية التي تُظهر كل شيء إلا إيّاهنّ.

غياب النساء في هاواي سببه: – هوية مسروقة – عمل بأجر بخس – ثقافة
مبيعة – أسر مُثقلة – لا مساحة شخصية – مستقبل غامض.

هاواي تبدو خفيفة. وهي ليست كذلك.

نأمل - هاواي

كل ولاية تُظهر وجهًا مختلفًا للغياب. في هاواي للغياب لون البحر، وشكل الرمل، وصوت التقاليد المستقلّة.

هنا المرأة مرئية كصورة وخفية كإنسانة. تُستعمل في تسويق السياحة، وفي الفولكلور المبيع للزوار، وفي صور المنتجات المثالية.

لكن حياتها الحقيقية: - غالية - متعبة - مليئة بالمسؤوليات - مليئة بالتنازلات - تكاد تخلو من أي ارتقاء اجتماعي.

هاواي تعلّمنا أن الجنة نفسها يمكن أن تُبنى على غياب من يسكنونها.

ولهذا هذه الولاية في الكتاب: لا مكان للأحلام، بل كدليل على أن العالم ينظر إلى السطح ويتجاهل من يُبقون الواقع قائمًا.

أيداهو

أيداهو ولاية تعيش في الظل. لا تُحدث ضجيجًا، ولا تجذب الانتباه، ولا يكاد يتحدث عنها بقية أمريكا.

هي جبال، زراعة، بطاطس، مواشٍ، برد، مسافات، صمت. أرض غنية بالطبيعة وفقيرة بالفرص. ولاية يمضي فيها الزمن ببطء، وحياة النساء أبطأ.

أيداهو لا تمحو النساء بعنف استعراضي. تمحوهنّ بالوحدة، بالدين المتصلّب، بغياب الخدمات، بالبعد الجغرافي، بالفقر المتناثر، وبثقافة تعدّ من البديهي أن تحمل النساء كل شيء. غياب النساء هنا صنّعة الجغرافيا: المساحات هائلة، الموارد قليلة، المجتمعات منغلقة.

امراة الزراعة - 36 عامًا

تعيش أيداهو على الزراعة وتربية المواشي. والنساء كنّ دائمًا جزءًا من السلسلة. لا يُسمّين «مساعدات»، بل لأنه من دونهنّ لا يعمل شيء.

تعمل في الحقول، في الإسطبلات، في إدارة البيت والأطفال، وكثيرًا ما لا تفصل بين العمل والحياة الخاصة.

الاستيقاظ قبل الفجر، الحيوانات، الماء البارد، التنظيف، الحصاد، وجبات تُعدّ للجميع. لا أيام راحة. لا أجر مستقل. كل شيء «أسرة».

غيابها اقتصادي: تعمل كالرجل، لكنها رسميًا «لا تعمل».

لا تظهر في الرواتب ولا في الوثائق ولا في الإحصاءات. لا وجود لها إلا في الجهد.

امرأة الكنائس المحافظة – 42

عاقا

لأيادها حضور ديني قوي، محافظ في الغالب. هنا على المرأة أن تجسّد نماذج محدّدة: أمّ، زوجة، شخصية متديّنة، صامته، محترمة، متاحة دائمًا.

المجتمع يراقب. يحكم. يصحّح.

لا تستطيع أن تخرج من دورها: كل انحراف وصمة على الأسرة. غيابها ثقافي: لا تختفي جسديًا؛ تختفي داخل الدور المفروض عليها.

هي حاضرة في كل مكان، لكنها لا تستطيع أن تعبّر عن نفسها.

امرأة الأعمال الخفيّة – 30 عاقا

خارج الأراضي الزراعية والكنائس بلدات صغيرة: نامبا، أيدهو فولز، بوكاتيلو.

هنا تعمل المرأة: – أمينة صندوق – عاملة تنظيف – موظفة مركز اتصال – بائعة في متجر – عاملة في مطعم وجبات سريعة – مساعدة في مدرسة.

أعمال تسند مجتمعات بأكملها لكنها لا تبني مسيرة مهنية، ولا تتيح النمو، ولا تضمن الأمان.

غيابها اجتماعي: السياسة لا تعدّ حياتها «مهمّة»، لا تدخل برامج التنمية، لا تظهر في الخطاب العام.

هي المرأة التي تُبقي أيدهو «العادية» طافية، التي لا يتحدث عنها أحد.

المرأة التي تعيش في البُعد - 51 عامًا

في أيّدهو تفصل بين البيوت والمجتمعات ساعات. طرق طويلة، مستشفيات بعيدة، مدارس قليلة، ومتاجر قليلة.

المرأة التي تعيش هنا تواجه: - العزلة النفسية - الشتاء القاسي - الخدمات الصحية البعيدة - أوقات إسعاف لا تنتهي - حياة منزلية بالكامل - إدمانًا منتشرًا - فقرًا مستترًا. إن وقعت حالة طارئة، فهي وحدها. إن كانت لديها مشكلة، تنتظر. إن تعبت، لا يرى ذلك أحد.

غيابها جغرافي: تختفي في البُعد. موجودة، لكن خارج الخريطة.

خاتمة - أيّدهو

أيّدهو ولاية غابات وجبال وصمت. وفي الصمت تضيق النساء بسهولة أكبر.

غيابها ليس فضيحة، ليس خيرًا، ليس رقمًا. إنه فراغ يومي تصنعه: - أدوار متصلّبة - حياة ريفية مُثقلة - جغرافيا صعبة - اقتصاد ضعيف - دين يفرض ولا يُصغي.

أيّدهو لا تجرح بالضجيج. تجرح باللامبالاة.

تأمل - أيّدهو

لكل ولاية شكل من الغياب. في أيّدهو يتّخذ الغياب شكل المسافة.

هنا لا يدفع النظام المرأة إلى الخارج: النظام لا يراها أصلًا.

هي خفيّة لأنها تعيش حيث لا يصل شيء: لا معلومات، لا رعاية صحية، لا سياسة، لا فرص.

أيّدهو تُثبت أن محو حضور النساء لا يحتاج إلى مأساة. يكفي أرض تتحرك أبطأ من الحياة.

ولهذا هذه الولاية في المجلّد: لأن غيابها لا يُحدث ضجيجًا لكنه يزن كجبل.

إلينيوي

إلينيوي ولاية التناقضات القصوى. شيكاغو حاضرة شاسعة، القلب الصناعي والمالي للغرب الأوسط. عملاق ثقافي، عنيف، مبدع، ومفكّك. أما بقية الولاية فقصة أخرى: أرياف، بلدات صغيرة، زراعة، فقر مستتر، وعقلية محافظة.

إنها أرض مزدوجة: حاضرة وريف، حادثة وانحدار، فرص وفشل، جامعات، وأحياء مهجورة.

في إلينيوي لا تختفي النساء لسبب واحد. يخفّين لأن عليهنّ أن يوفّقن بين عوالم مختلفة كثيرة، وأنظمة محطّمة كثيرة، ومطالب يومية كثيرة لا تنتهي أبدًا.

غيابها حضري، ريفي، اقتصادي، واجتماعي. يتوقف على المكان الذي تعيش فيه، لكن الأثر واحد: تحمل عبئًا، لا اعتراقًا.

المرأة من أحياء شيكاغو القاسية -

32 عامًا في شيكاغو مدينتان في واحدة: تلك التي تظهر في الأفلام، وتلك التي لا يريد أحد أن ينظر إليها.

هي تعيش في الثانية. أحياء فيها: - العنف أمر عادي - المدارس ضعيفة - المتاجر تُغلق - الرعاية الصحية غالية جدًا - الحكومة لا تصل - الشرطة تأتي متأخرة أو تأتي بسوء.

تعمل حيث تستطيع: مطاعم الوجبات السريعة، المتاجر الكبرى، التنظيف، حضانات بأجور زهيدة، مساعدة بالحد الأدنى. مشكلتها ليست واحدة: هي عشر في آن واحد. أطفال يجب حمايتهم، إيجار يجب دفعه، مواصلات بطيئة، مواعيد مستحيلة، بيئة عدائية.

غيابها حضري: تعيش في مدينة مشهورة في العالم كله لا تلتفت إليها أبدًا.

امرأة المستشفيات والعيادات - 44 عامًا

في إلينيوي بعض من أهم المنشآت الطبية في البلاد. وخلف تلك الأسماء اللامعة آلاف النساء: ممرضات، فنيّات، عاملات، مقدّمات رعاية، وطاقم

دعم.

هّن من يُبقين ما يلي طافيًا: - غرف الطوارئ - الأقسام المكتظة - المرضى الهشّون - المناوبات الليلية - الحالات الطارئة المتواصلة.

عمل لا يمنحك استراحة، يستنزفك جسديًا ونفسيًا.

غيابها تشغيلي: إن توقفت، انهار النظام كله، لكن صوتها لا يزن ما يزنه عملها.

هي المرأة التي تداوي الجميع ولا يداويها أحد.

المرأة الريفية - 50 عامًا

خارج شيكاغو وبعيدًا عن الجامعات تمتد إلينوي ريفية قلّة يعرفونها: حقول شاسعة، طرق خالية، مدارس صغيرة، مستشفيات بعيدة.

النساء هنا يعيشن واقعًا صعبًا: - زراعة موسمية - حياة منزلية بالكامل - مجتمعات منغلقة - خدمات قليلة - إدمان منتشر بين الرجال - عزلة نفسية. لا فرص لديها. لا بدائل لديها. لا شبكة دعم لديها.

غيابها مكاني: تختفي في البُعد، لا لأنها بلا قيمة، بل لأنها تعيش حيث لا يستطيع العالم أن يصل.

عاملة الخدمات اللاتينية - 29 عامًا

في إلينوي جالية لاتينية ضخمة، خصوصًا في شيكاغو وضواحيها الصناعية.

النساء المهاجرات هّن الركيزة الخفية لقطاعات بأكملها: - المطاعم والتموين - التنظيف - رعاية المسنّين - الفنادق - المصانع الخفيفة - مجالسة الأطفال - التوزيع.

تعمل بكدّ. تكسب قليلًا. تعمل في وظيفتين. تتكلم الإنجليزية كما تستطيع. تربي أطفالها وحدها، أو تكاد تكون وحدها.

هي المرأة التي تتيح للآخرين أن يعيشوا براحة من دون أن تنال هي المساحة نفسها أبدًا.

غيابها اقتصادي ولغوي: لا صوت لها، لا حماية، لا وقت للشكوى.

خاتمة - إيلنوي

إيلنوي ولاية معقدة ومُثْقَلَة. ليس فيها غياب أنثوي واحد. فيها أربعة على الأقل، كلها مختلفة، وكلها حقيقية:

- حضري - صحي - ريفي - مهاجر

المشهد يتغيّر، لكن النتيجة لا تتغيّر: النساء يفعلن كل ما توقفت الدولة عن فعله.

وبينما تصمد، تختفي. إيلنوي لا تمحو النساء لأنها تتجاهلهنّ. تمحوهنّ لأنها تعدّهنّ أمراً مسلماً به.

تأمل - إيلنوي

كل ولاية تبرهن على حقيقة. وإيلنوي تبرهن على هذه:

حتى حين تكون المرأة في كل مكان، يمكن أن تكون غائبة عن كل ما يهمّ.

هي في مناورات المستشفيات، في الأحياء الفقيرة، في الأرياف المعزولة، في الأعمال الخفيّة للاقتصاد اللاتيني.

حاضرة في كل وظيفة أساسية، لكنها مُقَصّاة عن كل طاولة يُقرّر فيها مستقبل الولاية.

غياب النساء في إيلنوي يتناسب مع عطائهنّ: كلما صمدن أكثر، قلّ ما يُرَيْن.

وهذه المعادلة المختلّة بالذات هي ما يجعل هذا الفصل ضروريّاً.

إنديانا

إنديانا ولاية تعيش على العادات لا على التغيير. إنها أمريكا الوسطى، تلك التي لا تصنع الأخبار، التي لا تطالب بشيء، التي تمضي في يومها كأن كل شيء سيبقى على حاله.

إنها أرض: - المسيحية المحافظة - الزراعة - البلدات الصغيرة - الصناعات الميكانيكية - الطرق السريعة التي لا تنتهي - إيقاع بطيء لا يغفر التعب. ليست ولاية تنفجر. إنها ولاية تستهلك. يومًا بعد يوم.

النساء هنا لا يختفين بسبب صدمة ظاهرة. يختفين لأن عليهنّ أن يتدبرن أمرهنّ داخل بنية لم تُصمّم لهنّ: الأسرة، العمل، الدين، الأدوار المتصلّبة، المجتمعات الصغيرة، التوقعات الثقيلة.

الغياب الأثوي في إنديانا أمر طبيعي.

مقبول اجتماعيًا. كأن من الطبيعي أن تكون النساء في الدرجة الثانية.

امرأة المصنع - 33 عامًا

إنديانا مليئة بالمصانع: سيارات، محرّكات، قطع، آلات. خطوط إنتاج طويلة، متكرّرة، صاخبة.

المرأة هنا تعمل في: - التجميع - الفحص - خطوط التجميع - مراقبة الجودة - المستودعات الصناعية.

إيقاع قاي، مناوبات مرهقة، جسد يتآكل.

الأجور كافية، لكنها لا تحرّر. الحياة تبقى على حالها: البيت ← المصنع ← البيت.

غيابها جسدي: العمل يستهلكها قبل الأربعين. ألم، ظهر، ذراعان، ركبتيان. جسد يحمل توقيع نظام الإنتاج.

هي المرأة التي تصنع محرّك أمريكا من دون أن تقدر على شراء ما تبنيه.

امرأة الكنائس الإنجيلية - 45

عامًا

إنديانا من أكثر ولايات الغرب الأوسط تديّنًا. الكنائس الإنجيلية في كل مكان، بمجتمعات متماسكة وأدوار محدّدة بوضوح.

هنا تعيش النساء داخل محيط دقيق: - زوجة - أم - مربية - حضور متدين - الشخصية الأخلاقية للأسرة.

المشكلة ليست الإيمان. المشكلة هي الرقابة الاجتماعية التي تحيط به. إن انفصلت، تُحاكم. إن غيّرت حياتها، تُعزل. إن لم تتّبع القواعد، تصير مثالا سيئا.

غيابها ثقافي: لا تستطيع أن تُظهر نفسها كما هي، بل كما ينبغي أن تكون فقط.

حاضرة في كل مكان، لكن دائما في دور مفروض.

المرأة الريفية - 51 عا

خارج البلدات الصغيرة والمصانع تمتد إنديانا الريفية: حقول شاسعة، بيوت متناثرة، مجتمعات صغيرة، صمت طويل.

النساء هنا يعيشن بلا سند: - أطباء قليلون - لا مواصلات - متاجر بعيدة - مدارس بـموارد في حدّها الأدنى - عمل زراعي موسمي - مسؤوليات منزلية كاملة.

لا هامش لديها. لا شبكة أمان لديها. لا بدائل لديها. غيابها جغرافي: تعيش بعيدة جدًا عن كل شيء، ولا أحد يبني خدمات تصل إليها.

إنها أمريكا بطيئة ومنسية، وهي محبوسة فيها.

امرأة الخدمات الدنيا - 29 عا

في مدن إنديانا - فورت واين، إيفانسفيل، ساوث بند - تحمل النساء العمل الذي لا يريد أحد أن يراه:

- أمينة صندوق بأجر بخس - عاملة تنظيف - نادلة في سلاسل الوجبات السريعة - مقدّمة رعاية للمسنّين - موظفة في متجر صغير - جليسة أطفال بلا عقد

تعمل كثيرًا، تكسب قليلًا، وتعيش دائمًا في الشهر القادم.

مشكلتها ليست مالية فقط. إنها نفسية: لا ترى مستقبلًا. لا ترى نموًا. لا ترى أي إمكانية للتحسن.

غيابها اجتماعي: هي أساسية في الحياة اليومية للجميع، وفي الوقت نفسه تُعامل كأنها قابلة للاستبدال في دقيقة.

خاتمة - إنديانا

إنديانا ولاية جامدة. وفي الأزمنة الجامدة تضيع النساء أسرع.

لا ثورات كبرى هنا، لا إصلاحات كبرى، لا دفع نحو التغيير.

المرأة تحمل: الأسرة، العمل، المجتمع، الدين.

وبينما تصمد، تختفي. غيابها مصنوع من العادي: ليس خبرًا، ليس فضيحة، ليس حالة طارئة.

إنه طرح بطيء ومتواصل.

تأمل - إنديانا

لكل ولاية شكل من الغياب. في إنديانا هو شكل الروتين.

هنا تأتي المرأة وتعيش مع الخفاء بفعل ثلاث قوى: - التقاليد - العمل الذي لا يُرى - المجتمعات التي تحكم بدل أن تُصغي.

العادي يصير قفصًا. الدور يصير هوية. الجهد يصير واجبًا.

إنديانا تعلّمت أن الغياب الأنثوي يمكن أن يُبنى بلا خبث: يكفي ألا يسأل أحد أبدًا كيف حال المرأة حقًا.

ولهذا هذه الولاية في الكتاب: لأن محو إنسان لا يحتاج إلى مأساة. تكفي الحياة اليومية.

آبوا

آبوا هي القلب الزراعي لأمريكا. امتدادات لا نهاية لها من الذرة وفول الصويا، مزارع، صوامع، طرق مستقيمة، بيوت متباعدة. من الخارج تبدو

ولاية بسيطة: عمل، أسرة، صمت. لكن من يعيشون فيها يعرفون أن البساطة قناع. وخلفه تعقيد لا يشرحه أحد.

آيوا ليست حديثة ولا متخلّفة: إنها ساكنة. سكّون متين، زراعي، محافظ، عملي. ولاية تقرّر فيها دورة الأرض كل شيء، وعلى النساء أن يتكيّفن مع إيقاع لا يحسب حسابًا لحياتهنّ.

هنا لا تختفي النساء بسبب أحداث مأساوية. يختفين بسبب التعب المتواصل، والأدوار التي لا تتغيّر، وغياب البدائل، وأرض شاسعة فارغة تلتهم وقتهنّ وطاقتهنّ وهويتهنّ.

غياب النساء في آيوا زراعي، منزلي، ونفسي. اختفاء بطيء لا يراه أحد لأنه يبدو «عاديًا».

امرأة المزرعة – 37 عامًا

هي لا «تساعد» في المزرعة. هي تعمل دائمًا.

تستيقظ قبل الفجر، تجمع الحيوانات، تجهّز الأدوات، تعتني بالمحاصيل، تنظّف، تطبخ، تنظّم، تقود، تصلح. دورة لا تنتهي: موسميًا بعد موسم، عامًا بعد عام.

لا راتب لها. لا ساعات عمل لها. لا حماية لها.

العمل يُعدّ «أسرة»، ولذلك يختفي من الأرقام والحسابات والاعتراف.

غيابها اقتصادي: تؤدّي 50% من العمل، لكن لا أثر لها في أي مكان.

هي أساسية، لكنها لا توجد في الوثائق.

المرأة التي تعيش بين الدين و

المجتمع – 45 عامًا الكنائس في بلدات آيوا الصغيرة أكثر نفوذًا من الحكومة. تقرّر الأدوار والسلوكيات والحدود. وبالنسبة إلى النساء، النصّ هو نفسه دائمًا:

– أمّ – زوجة – شخصية محترمة – منخرطة في المجتمع – لا تخرج عن الصفّ أبدًا

لا تستطيع أن تنفصل من دون وصمة. لا تستطيع أن تتغير حياتها من دون انتقاد. لا تستطيع أن تظهر هشاشتها من دون «تدخل» المجتمع.

غيابها ثقافي: هويتها ليست ملكها، إنها ملك المجتمع.

تعيش داخل دور، لا داخل نفسها.

امرأة العمل بالحد الأدنى – 31 عامًا

في المدن المتوسطة – دي موين، سيدار رابيدز، دافنبورت – تشغل النساء الأعمال التي تسند الولاية كلها:

– أمينة صندوق – عاملة تنظيف – نادلة – عاملات الوجبات السريعة – طاقم دور رعاية المسنين – جليسات أطفال – عاملات رعاية المسنين بأجور زهيدة

مناوبات طويلة، أجور منخفضة، حركة صفر.

حياتها مجموع جهود صغيرة: مواعيد مكتظة، أطفال، نفقات، بنزين، إيجارات ترتفع، رواتب لا تتغير أبدًا. غيابها اجتماعي: من دونها يتوقف كل شيء، لكن لا أحد يعدّها شخصية محورية في الاقتصاد.

قابلة للاستبدال حتى لو لم تكن في الحقيقة قابلة للاستبدال.

المرأة التي تعيش في البُعد – 52 عامًا

أيوا ضخمة. ثمة بيوت تبعد 30 أو 40 أو 50 دقيقة عن أقرب متجر. قد تبعد العيادة ساعة بالسيارة. المدارس متناثرة. المواصلات تكاد تكون معدومة.

المرأة التي تعيش هنا تواجه: – شتاءً قاسيًا – حالات طارئة بلا عون – أمراضًا تتدبّرها بنفسها – عزلة نفسية – مسؤولية كاملة عن البيت والأطفال – غياب الحوافز والشبكات والمجتمعات القريبة.

إن حدث شيء، لا أحد هناك لساعات. إن انهارت عاطفيًا، لا أحد تحكي له. إن كانت لديها مشكلة، تتدبّرها كما تستطيع.

غيابها جغرافي: تختفي في البُعد. بُعد لا يراه العالم لأنه لا يعيشه.

خاتمة - آيوا

آيوا ولاية تعيش على العمل الصامت. الأرض لا تُصدر صوتًا. ولا النساء اللواتي يحملنها.

غيابهنّ يومي: غير لافت، غير مرئي، غير مُبلّغ عنه. يسندن الأسرة، والمزرعة، والعمل، والمجتمع. وبينما يسندن أنفسهنّ، يختفين في الواجبات. آيوا لا تمحو النساء. هي فقط لا تنظر إليهنّ.

تأمل - آيوا

كل ولاية تكشف وجهًا من الغياب. في آيوا يتّخذ الغياب شكل العادي الثقيل. إنها فكرة أن «هكذا جرت الأمور دائمًا»، أن على النساء أن يسندن لا أن يطالبن، أن كدّهنّ طبيعي، أن صوتهنّ أقل أهمية من الأرض والأسرة والإيقاع الزراعي. آيوا تعلّمن أن الغياب الأنثوي لا يحتاج إلى عنف. يكفي تقليد لا يُساءل. ولهذا هي جزء من الكتاب: لتُظهر أمريكا التي لا تتغيّر والنساء اللواتي يدفعن ثمن جمودها.

كانساس

كانساس فضاء شاسع فارغ. حقول، ريح، طرق مستقيمة، آفاق أبدية. يراها كثيرون مجرد ممزّ بين ولايات أهمّ. أما لمن يعيشون فيها، فهي جغرافيا تصوغ حياتهم: عزلة، تقاليد، عمل زراعي، مجتمعات صغيرة تتغيّر ببطء، إن تغيّرت أصلًا.

كانساس لا تقتل النساء بعنف ظاهر. تقتلهنّ بالتكرار، بالوحدة، بغياب البدائل، بثقافة لا تتزحزح قيد أنملة.

إنها ولاية كل شيء فيها ثقيل: الطريق، المسافة، الدين، العمل الزراعي، حكم المجتمع.

المرأة هنا لا تختفي بسبب واقعة. تختفي بسبب إيقاع. إيقاع لا يضعها في المركز أبدًا.

امراة المزارع الكبرى - 38 عاا

تعيش كانساس على الزراعة الصناعية. آلات ضخمة، حصاد مكثف، وعمل لا ينتهي.

هنا النساء جزء أساسي من السلسلة: - يقدن المركبات - يعتنين بالحيوانات - يدرن حسابات الأسرة - ينظمن الوجبات للجميع - يراقبن المواعيد والبدور والمحاصيل - يقمن بالصيانة - يعتنين بالبيت والأطفال.

تعمل بقدر ما يعمل الرجل، وكثيرًا أكثر. لكنها رسميًا «رّة منزل».

غيابها اقتصادي: تنتج قيمة، لكنها لا تظهر في المداخيل ولا في الوثائق ولا في الإحصاءات.

هي عمود بلا اعتراف.

امراة المجتمعات الصغيرة - 47 عاا

بلدات كانساس الصغيرة تعمل ككائنات مغلقة. الجميع يعرف الجميع. الجميع يعلّق على الجميع. الجميع يحكم على الجميع. النساء يعشن أدوارًا متصلّبة: - أمّ - زوجة - شخصية متديّنة - حضور دائم في الكنيسة - سند للمجتمع - انخراط في المدارس المحلية.

لا تستطيع أن تغيّر حياتها من دون أن تُراقب. لا تستطيع أن تنهار من دون أن تُوصم. لا تستطيع أن تعيد اختراع نفسها من دون أن تُحاكم.

غيابها ثقافي: لا تنتمي إلى نفسها؛ تنتمي إلى المجتمع.

ليست حرّة: إنها وظيفية.

المرأة التي تعمل في الخدمات الدنيا - 33

عاا

في المدن المتوسطة - ويتشيتا، توبيكا، أوفرلاند بارك - تؤدّي النساء العمل الأساسي للمجتمع:

- أمينة صندوق - عاملة تنظيف - موظفة في متجر بقالة - نادلة - عاملة في دار رعاية المسنّين - مساعدة في مدرسة

تعمل بكّد، تكسب قليلاً. لا نموّ لها، لا مسيرة مهنية، لا أدوات.
حياتها مصنوعة من: مناوبات غير مستقرة، أطفال يجب رعايتهم، خدمات
عامة رديئة، وإيجار يلتهم نصف راتبها.
غيابها اجتماعي: تفعل كل شيء، لكنها ليست أولوية بالنسبة إلى الولاية.
قابلة للاستبدال. وهذا ما يحوّلها.

المرأة التي تعيش في البُعد – 53 عامًا

كانساس شاسعة. بيوت متناثرة، طرق لا تنتهي، بلدات تفصل بينها عشرات
الكيلومترات.

المرأة التي تعيش هنا تواجه وحدة كاملة: - مستشفيات بعيدة - مدارس
نادرة - مواصلات رديئة - جيران قليلون - دعم اجتماعي يكاد يكون معدومًا.
الشتاء طويل. الصيف قاسٍ. وكل شيء - كل مشكلة - يقع عليها.

إن تعطلت السيارة، تنتظر. إن احتاجت طبيبًا، تقود لساعات. إن انهارت
عاطفيًا، لا شبكة لها.

غيابها جغرافي: تختفي في أرض لم تُبنَ لتحميها، بل لتُعبّر فقط.

خاتمة - كانساس

كانساس ولاية بسيطة. لكن بساطتها خادعة. خلف الصمت والحقول والرياح
والشوارع الخالية صراع دائم لا يراه أحد.

هنا تسند النساء كل ما يُبقي الولاية طافية: الأرض، البيت، الأسرة، المجتمع،
العمل.

وبينما تصمد، تختفي.

غيابها مصنوع من: - أدوار متصلّبة - عزلة - عمل زراعي بلا اسم - خدمات
في حدّها الأدنى - بُعد نفسي وجسدي. كانساس لا تمحو النساء بالصدمة.
تمحوهنّ بالعادة.

نأمل - كانساس

كل ولاية تكشف شكلًا من الغياب. وكانساس تكشف أكثرها صمًا: ذلك الذي تبنيه الجغرافيا والتقاليد.

هنا يمكن لامرأة أن تعيش حياتها كلها داخل دور، داخل مسافة، داخل عمل غير معترف به، من دون أن يكون لديها أبدًا الوقت أو المساحة لتفكر في من تكون حقًا.

كانساس تعلّمنا أن غياب النساء لا يحتاج إلى عنف أو فقر متطرّفين. يكفي أرض لا تتغيّر وثقافة لا تُصغي.

ولهذا هذه الولاية هنا: لتُظهر كيف تُثقل أمريكا الريفية كاهل النساء من دون أن تعترف بذلك أبدًا.

فرديناندو فريغا